موازنة في الوحدة العضوية بين الشابي والتجاني

Balance in Organic Unity between Al-Shabi and Al-Tijani

المؤلف: منى عباس محمد مجذوب

مستخلص:

تناولت الدراسة من خلالها حياة الشاعرين (الشابيّ والتجاني)، ومحاولة تطبيق كل منهما للوحدة العضوية في شعرهما، وبيان تأثر كل من الشاعرين بالمدارس الحديثة وتطبيق التجديد في مجال الأوزان والقوافي واخيراً تناولت الورقة البحثية موازنة في الوحدة العضوية بين الشاعرين مصحوبة بدراسة تطبيقية على شعر كل منهما.

الكلمات المفتاحية: موازنة، الوحدة العضوية، الشابي والتجاني

Abstract

The study dealt with the lives of the two poets (Chebbi and Tijani)، and the attempt to apply each of them to the organic unity in their poetry، and the statement of the influence of both poets on modern schools and the application of renewal in the field of weights and rhymes، and finally the research paper dealt with a balance in the organic unity between the two poets accompanied by an applied study on the poetry of each of them.

Keywords: budget of membership unit Chebbi and Tijani

المقدمة

هناك دراسات متعددة تناولت حياة الشاعرين (الشابي والتجاني) وجمع آثارهما الأدبية والثقافية وتكوينهما الأدبي، غير أنها لم تكن تدرسهما كشاعرين مجددين ، وفي تطبيق الوحدة العضوية وأوزان الشعر والقوافي سوى بعض الدراسات التي لا تتناسب مع دور كل من الشاعران في التجديد والتي تعد الوحدة العضوية من عناصر التجديد في الشعر الحديث، وكان الهدف من هذه الدراسة بيان الدور الذي قام به كل من الشاعران في مجال التجديد وتطبيق الوحدة العضوية في شعرهما. وكان الدافع لهذه الدراسة شغف الباحث في البحث عن الوحدة العضوية في شعر كل من الشاعرين والموازنة بينهما، وتوضيح ذلك وتوصيله إلي عقل القارئ، وبيان اثر البيئة والتربية الدينية في شعرهما تكمن أهمية هذا البحث في انه محاولة إلى عقد موازنة بين شاعرين من شعراء اللغة العربية والشعر الحديث ومدى اتفاقهما في تطبيق الوحدة العضوية في شعرهما. وقد كان المنهج المتبع هو المنهج الوصفي التحليلي الذي يناسب هذا البحث ومنه نتج العنوان السابق.

اتسمت القصيدة المعاصرة بالثورة على القديم، فولدت لنا الوحدة العضوية، فلم تعد القافية والوزن ذو أهمية وتكون القصيدة متماسكة الأعضاء ومترابطة الأجزاء.

الشعر نفاثة الشاعر يترجم بها عن مشاعره وعن تجربة صادقة. كما وأن الموازنة بين شيئين والمفاضلة بينهما ترمي إلى غرض واحد وبيان الجيد من الرديء في الشعر.

في يوم من أيام عام 1909م، في (توزر) تلك البلدة الجميلة الفاتنة لما حوته من مناظر الطبيعة الرائعة بتونس (محمد كرو، 1952، ص9) وفي ربيع يوم 1909/12/26م، وقيل يوم1909/2/22م، (عبد الله السومحي

،205، دو ص) سمعت سماء هذه القرية الهادئة الوادعة الحالمة بين النخيل المتراقص(الشابّية) التي تحتضنها مدينة (توزر الجريد) القابعة في الجنوب الغربي من(تونس) صوت صرخات الوليد تغمره تمتما شيخ وقور، وفي بيت مجد وجاه رزق الشيخ محمد بن أبي القاسم الشابّي طفلا اسماه (أبا لقاسم) متيمنا باسم جده، ولد الشابيَّ في منطقة تمتاز بواحات النخيل المترامية ، وينابيع المياه الجارية ، وبساتين الأشجار الجميلة ، والتي يمتاز أهلها بالذكاء والشغف بالعلم ، والسعي لطلبه والنبوغ فيه ، فوالد الشابيَّ أحد النوابغ ممن درسوا في العلوم الدينية ، تلك المنطقة التي نشأ وترعرع فيها الشابيَّ، والتي حدثنا عنها الشابيَّ بشوق بالغ وحنين فياض (سلطان سالم، 2010،ص9)

وقع اختيار الباحثة على الشاعر السوداني التجاني يوسف بشير لأسباب عده، حيث اجتمعت فيه أشياء مع شاعرنا الشابي، والتي سوف تتطرق لها الباحثة من خلال سيرته. ولد التجاني عام1912م، في بيئة ذات ثقافة دينية بحته، بيئة محافظة ذات تقاليد وتعاليم دينية، من أسرة عريقة دينية فقيرة، من أبوين جعليين من فرع الكتياب. لقبه أبوه بالتجاني تيمناً بصاحب الطريقة التجانية المعروفة وهذا الطابع الديني ظاهر في شعر التجاني الصوفي، كان ترتيب التجاني الثالث من ثمانية أخوة ،أمه نور الشام بنت بابكر ود محمد الجعلي، وجدته لامه شاعرة مدحت الشيخ قريب الله. (يوسف بشير، دو ت،ص39)

نشأ التجاني نشأة تتسم بالبساطة والقناعة، وعاش طفولة اتسمت بالحرمان والشقاء وكان التجاني متقد الذكاء، حاد التصور ذكياً، حفظ القرآن يافعاً،(يوسف بشير، دو ت ، ص39) حيث تلقى تعليمه في الخلوة على يد الشيخ محمد القاضي، ثم التحق بالمعهد العلمي بأم درمان عام 1924م، وفي المعهد العلمي بدأت موهبته تتفتح مما جعل الشيخ أبا القاسم أحمد هاشم شيخ علماء السودان وعميد المعهد معجباً بإجاباته وفرط ذكائه، عمل بالصحافة في مجلة الفجر الجديد التي أسسها عرفات محمد عبد الله، فأرسل إليها مقالات أدبية وعمل أيضاً محرراً في مجلة أم درمان بدعوة من محمد عبد الرحيم التي صدر العدد الأول منها يوم 15 ديسمبر 1936 م.(بابكر نادر، دو ت ، ص131)

تأثر التجاني بالفلسفة الإشراقية كثيراً، والذي يحمل أسم المذهب الإشراقي ديوان (إشراقة) (عبد الرحيم ،دو ت،ص223) تخرج التجاني من المعهد واتصل بالصحافة. تربى التجاني في بيت صوفي، فانعكس ذلك في شعر التجاني، يقول: في قصيدته (يؤلمني شكي)

مَا كُنْتُ أُثِرُ فِي دِينِي وَتَوْحِيدِي خَوَادِعِ الآلِ عَنْ زَادِي وَمَوْرُدِي
غَرَرْتُ بِي وَحَسْبِي أَنْ رَاوِيَتِي مَلْأَي هَرِيقَتْ عَلَى ظَمْأَى مِنْ الْبِيد
أَفْرغْتها وبرغمِي أَنّها انْحَدَرَتْ بَيْضَاءَ كَالْرُوْحِ فِي سَوْدَاءَ صَيْخُودْ (يوسف بشير،1949، ص4)

يقول: مواصلاً في ذات القصيدة

أَشُكُ يُؤْلِمُنِي شَكْي وَأَبْحَثُ عَنْ بَرَدَ الْيَقِينِ فَيُفْنَى فِيهِ مَجْهُوْيْ
أَشُكُ لاعَنْ رِضَاً مِنِي وَيَقْتُلُنِي شَكْي ويذبل مِنْ وَسْواسَهُ عُوْدِي
وَكَمْ أَلُوذُ بِمَنْ لاذَ ألأَنَامُ بِهِ وَأَبْتَغِي الْظَّلَ فِي تَيْهَاءَ صَيْهُود
اللهُ لِي وَلِصَرحَ الْدِينِ مِنْ رَيْبِ مَجْنُونَةِ الْرأَي ثَارَتْ حَوْلَ مَعْبُوِيْ
إنْ رَاوَغَتْنِي فِي نُسكِي فَكَمْ وَلَجَتْ بِي الْمَخَاطِرِ فِي دِينِي وَتَوْحِيدِيْ(يوسف بشير،1949، ص4)

إن البيئة الصوفية التي نشأ فيها التجاني والمعهد الذي تخرج منه ترك أثراً عظيماً في نفس الشاعر فترجم ذلك شعراً رصيناً بالرغم من العمر القصير الذي قضاه بين المرض عنوان القصيدة لها دلالات وظلال، يظهر الأثر الصوفي والمذهب الإشراقي في القصيدة الإيماني ولكنه يلوذ بخالق الكون فيكون برداً وسلاماً على نفسه الطاهرة

فالعنوان يدل على الإيمانيات التي سيطرت علي روح التجاني الذي حفظ القرآن يافعاً والشعر ترجمة للمشاعر الجياشة والأحاسيس المرهفة، الجو النفسي يغطي على كل أبيات القصيدة، تنمو أبيات القصيدة من البداية وإلى الخاتمة حيث تدور حول موضوع وفكرة واحدة، نلمس ترتيب الصور وترابط أجزاء الأبيات وتماسك أعضاء القصيدة والتي ينبثق من بين أسطرها ذاتية وشخصية التجاني، اللغة واضحة والألفاظ سهله بها إيحاء تجعل القارئ يسبح في بخياله وروحه مع الله، نجد تناسب الملفوظ النفسي والمقول الشعري (يؤلمني، توحيدي، ديني، ألوذ بما لاذ الأنام به، الله لي ولصرح الدين) المعاني لها رنين وأنغام وموسيقى وأجراس عذبة، نجد عمق التفكير الذي يؤدي كثيراً إلى الشك ولكن الرجوع إلى نور السموات والأرض يكون أقوى وأعمق، وهو الذي كان يبحث عن هذا البرد ويضيع وينتهي ويفني فيه مجهوده، فكل الخلائق تلوذ بالله الواحد الأحد فهو رب الكائنات ورب كل باحث يبحث عن اليقين، فالتجاني كان بين الشك واليقين هذا الشعر الرائع نسيج في خيط لغوي سلسل رائع، واضح اللغة عذب المعاني، نلمس الروحانيات والأثر الصوفي، ولطف الخروج . كذلك نجد ألشابي سابحاً في ملكوت الصوفية، فقد كان يمر بأزمات أعظمها موت والده، والمرض الذي لازمة حتى الممات، فانغام وأجراس ورنين وموسيقي شعره الرصين يعكس كدر عيشه وضيق صدره، وأنين روحه، بالرغم من النشأة الدينية، وحفظه للقرآن. يقول: في قصيدته (إلى الله)

يَا الَهَ أَلْوجُودِ هَذِي جِرَاحِ فِي فُؤَادِي تَشْكُوْ إِلَيْكَ الْدَوَاهِيْ
هَذِهِ زَفْرَةُ يَصُدَّهَا الْهَمُّ إِلَىَ مُسْمِعِ الْفَضَاءِ الْسَاهِيْ
هَذِهِ مُهْجَةُ الْشَقَاءِ تُنَاجِيكَ فَهَلْ أَنْتَ سَامِعُ يَا إِلَهِي (الشابي،1970،ص145)

يشكو ألشابي جراح قلبه وانين روحه إلى إله الكون والوجود ، فقد عانى من داء القلب طويلاً ، هذا القلب الصغير حمل كثيراً من الآلام والزفرات الحري ، وهم أثقل على قلبه المريض ونفسه النقية ، فأصبح يناجي الله السميع العليم ، هذه الهموم جعلت تفكيره تحت تأثير حالته ترجمها لنا شعراً . يقول مواصلاً في ذات القصيدة متذمرا من ألآمه قائلاً :

أَنْتَ أَوْصَلْتَنِي إِلِي سُبْلَ الْدُنْيَا وَهَذِي كَثِيرَةِ الاشتباه
ثُّمْ خَلَقْتَنِي وَحِيْدَاً فَرِيْدَاً بَيْنَ دَاعٍ مِنْ الْرِيَاحِ وَنَاهْ
أَنْتَ أَوْقَفْتَنِي عَلَى لُجَّةِ الْحُزْنِ وَجَرَّعْتَنِي مَرَارَةَ آهْ
أَنْتَ كَّرَهْتَنِي الْحَيَاةَ وِمَا فِيْهَا وَحَبْبتَنِي جُمُوْدَ الْسَاهِي(الشابي،1970،ص146)

تسيطر الكآبة والتشاؤم على الأبيات والجو النفسي يصبغ القصيدة بالأحزان والآهات مما جعلت ألشابي غير قادر على هذه الابتلاءات التي أثرت على نفسيته فذكر ألفاظاً لا تليق بعظمة الخالق جل في علاه، ولا تليق بحافظ كتاب الله، وبابن شيخ وقور تخرج من الأزهر الشريف، ولا بتربية دينية صوفية بحته، ولكن خلق الإنسان ضعيف.

نلمس الوحدة العضوية ووحدة الموضوع والفكرة، وترتيب الصور والأفكار ترتيباً تتقدم به القصيدة وتنمو حتى تنتهي إلى خاتمة، وترابط أجزاء الأبيات ببعضها، المعاني واللغة واضحة سهلة سلسة تستمد من خيال خصب نابض حي خلاق ، كل جزء في القصيدة له وظيفة تؤدي بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل الحي للفكرة ، تنبثق ذاتية وشخصية الشابي من بين السطور ومن خلال ترابط الأبيات والتي يصدر منها صوتاً به أنيناً وألماً وتأوهاً، هذه الأنات تدل على رقة القلب والروح الحساسة والمشاعر والنفس النقية التي لا طاقة لها على تحمل الأثقال والهموم والآلام، نجد صدق التجربة والخيال الخصب في تصور حالته النفسية والمرفوضة لدي كل مسلم والتي عبر عنها بكلمات لا تليق مع عظمة الله ، ولكن هذا المعذب الصوفي صاحب القلب العليل، الحافظ لكتاب الله ، تزول عنه هذه الغموم وهذه الغشاوة بعد هنيه ويسطع ويشع نور الإيمان من سويداء فؤاده ويتحول هذا الألم والأنين والعجز ولهيب الحزن والتشاؤم الذي أصبح كالظل ملازماً له. كل هذا الجحيم تحول إلى إيمانيات وإشراقات وابتهالات وتراجعت وتفجَّر الإيمان من أعماق قلبه العليل يقول معاتباً نفسه ولسانه الذي نطق بفاحش القول يقول : مواصلاً في ذات القصيدة

مَا الَّذِي قَدْ أَتَيْتَ يَا قَلْبَيَ الْبَاكِي وَمَاذَا قَدْ قَلْتِهِ يَا شِفَاهِيْ

يَا إِلْاهِي قَدْ أَنْطَقَ الْهَمُّ قَلْبِيَ بِالَّذِي كَانَ فَاغْتَفِرِ يَا إِلْاهِيْ

قَدَّمَ الْيَأسَ والْكَآبَةَ دَاسَتْ قَلْبِيَ الْمُتْعَبَ الْقَرِيبَ الْوِاهِيْ (الشابي، 1970،ص146)

تدور القصيدة وتتواصل الفكرة حول ضعف ألشابي عند الألم والأنين والوجع ، وعدم القدرة على التحمل والصبر، وما صدر من ألفاظ غير لائقة مع رب الكون ، ولكنه تراجع مؤنباً قلبه بما أتى من تجاوزات ، فالهم من دواعي هذا الفكر ، طلب المغفرة من الله ، وتأسف لما صدر من ألفاظ بها تجاوزات مع الله تعالى ، فالهم واليأس والكآبة والدواهي من دواعي التفكير وتشويش العقل ، كان له تأثير قوي علي قلبه العليل ، نجد تلاحم الأبيات والوحدة العضوية وترتيب الأفكار والصور ووحدة الموضوع الذي يعد محور القصيدة ، العنوان مستمد من أبيات القصيدة ، تظهر ذاتيته وشخصيته من بين السطور تكرار لفظ (يا اله) تدل على ألإيمان بخالق مسيطر على المخلوقات متصرف في الأقدار وأن الله تعالى وحدة المقصود بالابتهالات والاستغفار والتوجه له بالتضرع والدعاء ، هو وحده من يقصد بالشكوى ، الغرض الرئيسي اللجؤ إلى الله ودعاءه أن يغفر ويصفح على مابدر منه ، وضوح اللغة المستمدة من معجم الطبيعة، ألأبيات الخمسة الأخيرة توضح مخاطبة ألشابي لله الواحد الأحد، والرجوع والاستغفار، فالمادة اللغوية التي استطاع عبرها توصل حزنه وألمه، ورجوعه وتثبيت إيمانه ويقينه بالله ، رنة الألفاظ وامتزاجها امتزاجاً موسيقياً مع المعنى، نجد جزالة ودقة الألفاظ والمعاني ،بناء القصيدة مرتبط بالطبيعة والمحيط الجغرافي، الموضوع واحد يثير مجموعة من المشاعر التي تنبع منه بحيث لا يبدو لنا إحساس غير متصل بالموضوع أو الفكرة ، لذلك نجد السبك وتسلسل الأحداث ووحدة الطبع ، ولطف الخروج .

كل من الشاعرين من المدرسة الوجدانية التي تقدس الألم وتعظم الحزن . يظهر ذلك في قصيدة ألشابي الذي ضاق من ألام ووصل به مرض القلب إلى ضعف الإيمان ، ولكنه عاد بعد هنيهة . بينما التجاني غاص وتعمق في التفكير وتزعزع في إيمانه وراودته الشكوك ولكنه عاد وثبت اليقين في نفسه ولاذ به ووقر الإيمان بقلبه أيضا بعد هنيهة. كل من الشاعرين عاد إلى الله متضرعاً خاضعاً لقضائه .التجربه عند التجاني أعمق ،

نجد صورتين لانفعال واحد ، هو تزعزع الإيمان وضعف اليقين بالرغم من أن كل من الشاعرين حاملاً لكتاب الله مصحفاً يمشي بين الورى ، وكما قال(محمد مصطفى هداره) فقد حرص والد ألشابي على تحفيظه القرآن فلبى له رغبته فحفظه وعمره تسعة سنوات ،(هداره،دو ت ،،ص165) تقلب قلب الإنسان بين الشك واليقين من دواعيه ضيف النفس والتعمق في التفكير .مسرح الانفعال النفس والعقل ، جعل التجاني عقله مسرحاً للتخبط والتزعزع والشك الذي كاد أن يؤدي به إلي الهاوية ، تعمق في التفكير وأدى ذلك إلى شكه ونقص يقينه وإيمانه استخدم عقله وعاد به شكه إلى يقين ثاب واقوي نلمس سطوع نور الإيمان وإشراقيات تظهر صوفيته في نفسه عمق التفكير وهو شيء طبيعي ولكن عند شاعرنا كان له أثر سلبي على إيمانه الرجوع إلى إله الكون عند التجاني أقوى والتجربة لديه أعمق من تجربة ألشابي والخيال الخصب وأروع وأجمل يثير المشاعر، عنوان القصيدة مستمد من أبياتها لها دلالات وظلال ، نلمس السبك وصدق المعنى والتجربة الحية والقدرة على الإقناع وجذب القارئ يبحث التجاني عن برد اليقين ولكنه يتوه ويفنى مجهوده ويذهب هباءً منثورا ، ما أروع التصوير وأدق الوصف وما اصدق التعبير، وما أعظم رجوعه للخالق فشكه بالخالق ليس عن رضاً منه ،يذبل ويذوب عوده الغض من كثرت هجوم الوساوس والشك لديه ، لكنه اتخذ الرجوع إلي الله ظلاً ظليلا، تكرار لفظ (يؤلمني ،أشك)تأكيد لسيطرة الفكرة ورفض هذه الهواجس والوساوس

القصيدة عند كل من الشاعرين من الأدب الوجداني الذي يرفض الواقع، ويتميز بالانفعال والتوسع في استخدام الألفاظ وتراسل الحواس .

طغيان الجانب الذاتي عند كل من الشاعرين، واستخدام لغة سهلة بسيطة متداولة بين الناس، وصدق التجربة والإمتزاج مع الطبيعة، وتطبيق الوحدة العضوية عند كل من الشاعرين . كل من الشاعرين متأثراً بالمذهب الصوفي، كل من الشاعرين حفظ القرآن مبكراً، ونشأ في بيت ديني محافظ. ، مع اختلاف في تقاليد وأعراف بلد كل منهما. كل من الشاعرين كان عليلاً، وفارق الحياة صغيراً ، وأعمارهما وثقافتهما متقاربة، وكل من الشاعرين نهل من معين مكتبه بمنزلهما ، وكل من الشاعرين حرصت أسرته على تحفيظه القرآن ، يوضح لنا التجاني حرص أسرته على تعليمه وتحفيظه للقرآن والذاهب إلى الخلوة مبكراً رسم لنا ذلك في لوحة فأبدع في الوصف ونقل لنا رفضه وتذمره من الذهاب والاستيقاظ مبكراً ونفوره من الشيخ ، يقول : في قصيدته (الخلوة)

هَبَّ مِنْ نَوْمَهُ يُدَغْدِغُ عَيْنَيْهِ مُشِيْحَاً بِوَجْه فِي الْصَبَاحْ

سَاخِطًا يَلْعَنَ الْسَمَاءِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ عَالْمِ وَمِنْ أَشْبَاحْ

حَنَقَتْ نَفْسَهُ وَضَاقَتْ بِهِ الْحِيلَةُ وَاهْتَاجَهُ بَغِيضَ الْرَوَاحْ (يوسف بشير،1949، ص58)

من أجمل وأروع مراحل العمر مرحلة الطفولة والصبا، بها المرح والبهجة والفرح والسرور وهى من مراحل طلب وتلقي العلم، ولكن التجاني ينقل لنا صورة مختلفة عن هذا المرح والحرية والبراءة، ففي الصباح الباكر مع شروق شمس جديد ويوم بهيج، هب التجاني منزعجاً متذمراً ساخطاً على كل ما في الكون يلعن ما في الأرض وما في السماء، مشيحاً بوجهه، يدل ذلك على عدم رغبته للذهاب للخلوة، لم يستيقظ من نفسه مستبشراً مبتهجاً، بل العكس هب متكاسلا يدغدغ عينيه، يوضح مراحل العمر التي يجب فيها الذهاب للخلوة وهو الصبا، والتي كانت من أكثر مراحل عمره تعباً وتزمراً عنوان القصيدة مستمد من أبياتها، الجو النفسي يسيطر

على جميع أبيات القصيدة، وان الصباح يكون مرتعا للعب والمرح، وشقاوة الطفولة البريئة، نلمس الوحدة العضوية وترتيب الأفكار والصور وترابط أجزاء الأبيات، فهو كارهاً للذهاب إلى الخلوة ربما لما يجد من عنت الحفظ وتحمل قسوة الشيخ، يقول: مواصلاً قوله في ذات القصيدة

طَافَتْ فِي خَيَالَهُ ذِكْرَيَات الْرَوعُ وَاعْتَادهُ مَطْبَقِ الْجِمَاحْ
وَمَشَىَ بَارِماً يَدْفَعُ رِجْلَيْهِ وَيَبْكِي بِقَلْبَهُ الْمُلْتَاعْ
ثَوْرَةُ صَوْرَتْ خَوَافِي مَا بَيْنَ حَنَايَا صَبِيْنَا مِنْ رِيَاحْ
وَرَمَىَ نَظْرَةً إِلَىَ شَيْخَهُ الْجَبْارِ مُسْتَبْطِناً خَفَيِ الْمَنَاحِيْ
نَظْرَةُ فَسْرَتْ مَنَازِعَ عَينَيْهِ وَنَّمَتْ عَمَا بِهِ مِنْ جِرَاحْ (يوسف بشير،1949، ص58)

يغلب على عنوان القصيدة جو روحاني، فالخلوة من الطبيعي أنها مقر الهدؤ والسكينة وكلام الله الذي به تطمئن القلوب، ولكن التجاني يصور الخلوة وشيخها الجبار، وكيف أنه يجر قدميه جراً، وهو كارهاً الذهاب إليها باكياً بقلب ملتاع يغالب النعاس مدغدغاً عينيه في الصباح، يرجع متسخ الملابس لما يجد بها من اثأر الدواية، تظهر ذاتية التجاني من بين السطور، نلمس وحدة الموضوع وترتيب الأفكار والصور، يصور لنا طفولته وصباه بأنها قليلة المرح قاسية، كثيرة العناء والضجر والتي من أسبابها العظمى ذهابه إلى الخلوة مبكراً، كثير التذمر والضجر، لم ينعم بها كما يمرح الصبي ويسعد بالطفولة يقول: في قصيدته:

(اللمحة الخالدة)

وَلَمْحةُ مِنْ تَرَاوِيقْ الْصِبَا عَبَرَتْ دَنْيَايَ كَالْسِحْرِ لَمْ احْفَلْ بِهَا ابَدَا
وَدَعْتَهَا غَيْرَ مُرْتَاعِ لِفُرْقَتِهَا قَلْباً وَلا رَاجِفُ مِنْ اجْلِهَا كَبَدَا
حَتْىَ إِذَا مَااسْتَقَرَتْ فِيمَخَابِئَهَا رَجَعْتُ اسْأَل عَنْ أَثَارِهَا الأَبَدَا
طَوَىَ شَبَابِي ذِكْرَاهَا عَلَىَ أَلْمِ وَسَوْفَ يَخْلُدْ إِنْ مَاتَ الْشَبَابُ غَدَا
دُنْيَا مِنْ الْلَهْوِ أَحْيَاهَا وَآلَفْهَا ذِكْرَىَ وَأَلْمَسَهَا فِي جَانِبِيَ نَدَىْ
كُلْ الْحَقَائِقَ مَا اسْتَجْمَعْتَ مِنْ لعِبِ حَوَلَ الْطُفُولةِ نُورُ كُلْهَا وَهُدَىَ (يوسف بشير،1949، ص90)

يصور التجاني مرحلة الطفولة وكأنها لمحة، وطيف عابر ولكنها لازالت خالدة في ذكراه بالرغم من أنها عبرت مثل السحر لم يهتم أو يقف عندها ولم يودع هذه المرحلة الجميلة من عمره ولم يتأسف على ضياعها في لحظة غير مرتاع لهذه الفرقة، وبعد أن عدت وطوي الزمن أثارها رجع يسأل عن دنيا اللهو وذكري في جانبي نفسه مثل الندى والنور والهدى. نلمس عمق جمال الوصف وروعت الإبداع، والخيال الخصب، يدل هذا على أن التجاني لم ينعم بطفولته، عنوان القصيدة مستمد من أبياتها والتي تدور في محور واحد وهو الصبا والخلوة، نجد وحدة الموضوع والفكرة وترابط أجزاء القصيدة وترتيب الصور، كما نجد سهولة الألفاظ وسلاسة التعبير، وجمال الأسلوب والخيال الخصب اللغة واضحة والمعاني لها دلالات وظلال الطفولة لها معاني سامية نجدها بمعنى رائع جميل عند ألشابي الذي يصف لنا طفولته بأجمل المعاني وأروع الألفاظ.

يقول: في قصيدته (الجنة الضائعة)

كَمْ مِنْ عِهُوْدٍ عَذْبَةٍ فِي عَدْوَاةِ الْوَادِي الْنَضِيرْ
فِضْيَةِ الأَسْحَارِ مُذْهَبَةِ الأَصَائِلِ وَالبِكُورْ

كَانَتْ ارَقْ مِنَ الْزِهُور وَمِنْ أغَارِيْدِ الْطُيُورْ (الشابي، 1970، ص214)

ما أروع عنوان القصيدة، والذي يصف عالم الطفولة بالجنة، نجد صدق التجربة ولكنها ضاعت من يديه لما تخللها من أحزان، هذه الطفولة التي قضها بين الوادي النضير وقطف تيجان الزهور وأغاريد الطيور، تلك حقبة زمنية من أجمل مراحل العمر بها طفولة نقية بريئة، طاهرة لا رقيب ولا معاتب، يلهو مع اقرأنه وأنداده، ومن بينهم رفيقة له، يلهو ويمرح معها، نلمس الوحدة العضوية والفكرة وترابط أجزاء الأبيات وموسيقى الألفاظ ورنين وأجراس ونغم الكلمات، يسيطر على جميع الأبيات فرح يفوح عنبراً وياسميناً، هذه الروح الطاهرة النقية التي عاشت هذا الجمال والبهجة والسرور مع رفيقة دربه وطفولته، يقول: مواصلاً وصفه لهذه الجنة في ذات القصيدة

أيَّامُ لَمْ نَعْرَفْ مِنْ الْدُنْيَّا سِوَى مَرَحَ الْسِّرُورْ

وَتَتَبْعِ الْنَحْلِ الأَنِيْقِ وَقَطْفِ تَيجَانِ الْزِهُورْ

وَبِنَاءِ أَكْوَاخَ الْطُفُولَةِ تَحْتَ أَعْشَاشَ الْطِيُور(الشابي ،1970، ص215)

هذه اللوحة الفنية وهذا المشهد الرائع ، التي رسمها لنا ألشابي بريشة فنان مبدع بأحاسيس صادقة وعواطف ومشاعر جياشة، والمعاني الواضحة والألفاظ السهلة تنقلنا إلى عالم الأحلام والخيال، عالم أنيق رائع مفعم بأريج الأزهار وشقشقة العصافير، نجد ترابط أجزاء الأبيات مع بعضها، وترتيب الصور وتسلسل الأفكار والسبك والوحدة العضوية، هذه الطفولة الرائعة الهادئة الجميلة التي عاشها ألشابي وهذا الامتزاج ومشاركة الطبيعة معه اللهو الجميل، ربما يعود ذلك للبيئة التي تربى فيها والخضرة والنخيل، هذا العالم الساحر النقي الذي لا يعرف الشقاء والألم، هذا الخيال الخصب وهذه الجنة التي رسخت في نفسه، وهذا الجو النفسي المفعم بطعم الحياة والذي يسيطر على أبيات القصيدة، الحياة الهادئة الوديعة، تظهر ذاتية ألشابي وشخصيته من بين السطور طفولة بلا عناء ولا نكد ولا ألم.

يواصل تصوره للطفولة ومرحها في قصيدته (الطفولة) يقول :

لِلَهِ مَا أَحْلَىَ الْطُفُوْلَةِ إِنْهَا حُلْمُ الْحَيَاةْ

عَهْدُ كَمَعْسُولِ الْرُؤَىَ مَا بَيْنَ أَجْنِحَةِ الْسَبَاتْ

إِن الْطُفولَةِ حِقْبَةُ شِعْرِيَّةُ بِشْعُورَهَا وَدِمُوْعَهَا(الشابي ،1970، ص90)

هذا الزمن الجميل الذي رسخ في ذاكرة ألشابي، هذا الزمن الأثيرالذي تستطيع الذات أن تنعتق فيه من حدود الزمن الواقعي وتحقق فيه رغباتها وتنعم فيه بالسعادة والنشوة عنوان القصيدة مستمد من أبياتها، والتي تترابط أجزائها وتتماسك أعضائها، نجد الوحدة العضوية والفكرة وترتيب الصور وسهولة اللغة والمعاني والألفاظ، الجو النفسي يسيطر على جميع أبيات القصيدة، ألشابي له أناقة في التعبير وخيال خصب ومشاعر فياضة وعواطف جياشة، يتولد لديه إحساسه بالبهجة والفرح والطرب والسرور وتجديد إيقاع الحياة والوجدان، فتسمو الروح وتطهر النفس، هذا الإشراق والنور والعطر والشذى، لوحة تصويرية رائع، عهد كمعسول الرؤى. نجد تشابه بين الشاعرين وتقارب كالأتي:

كل من الشاعرين من المدرسة الرومانسية، وكل منهما طبق الوحدة العضوية.

كل من الشاعرين عاش طفولته وكان لها الأثر الواضح والذكرى الراسخة في أعماقهما.

كل من الشاعرين شارك الطبيعة وامتزج معها، نجد عند كل منهما صدق التجربة وسهولة الألفاظ واللغة ووضوح المعاني، وصدق التجربة كل من الشاعرين عاش طفولته وتحدث عنها بشعر رصين، ولكن عند ألشابي أروع وأجمل بها فرح ومرح ولعب ومشاركة للطبيعة، وربما كان مريضاً ولكنه لم يبالى بذلك لما يجد من رفيقة تمرح معه وتشاركه اللعب والفرح، هذه الطفولة صورها لنا بالجنة وتحدث عنها بمعسول الكلام، ووصفها بدقة بكل ما فيها من مرح، ليس بها تعاسة ولا عذاب لا كآبة، أما التجاني فقد تناول الصبا وما بها من شقاء وعنت وتعاسة، مرجعه الذهاب الباكر إلى الخلوة وما يعانيه من جر قدميه متثاقلاً لعدم رغبته في الذهاب، لم يتناول لحظة فرح أو لعب مع رفقاء طفولته، الطفولة عند ألشابي أعمق من التجاني وأروع وأجمل، أبدع في تصويرها أستطاع أن يجذب القارئ بحسن تعبيره وصدق كلماته وأناقة ألفاظه، صورها لنا بالجنة وما ألطف تصويره .

مسرح الانفعال عند كل من الشاعرين واحد وهي النفس، ولكن ألشابي كان تصويره أعمق وابلغ فأبدع في رسم هذه الصورة ، وخياله أوسع وأخصب .

الغرض الرئيسي من القصيدتان هو الحديث عن الطفولة والصبا، والحديث عن ذكريات تلك الحقبة. مهما يكن من أمر فالحديث عن الطفولة ذو شجون وحنين وبالرغم من هذه اللوحة البديعة التي نقلها لناالشابي، فان أمورا ونواحي أخرى تتخلل الحياة،منها الاستعمار واحتلال البلاد وذل أهلها، تناول ألشابي هذه الفترة يقول: في قصيدته (تونس الجميلة)

لَسْتُ أَبْكِي لِعَسْفِ لَيْلٍ طَوِيْلِ أَوْ لِرَبْعٍ غَدَا الْعَفَاءُ مُرَاحَهْ

أَنَّمَا عِبْرَاتِي لِخَطْبٍ ثَقِيْلٍ قَدْ عَرَانَا وَلَمْ يَجِدْ مِنْ أَزَاحَهْ

كُلَّمَا قَامَ فِي الْبِلادِ خَطِيْبُ مُوقِظُ شَعْبَهُ يَرِيْدُ صَلَاحَهْ

أَلْبَسُوا رُوحَهُ قَمِيْصَ اضْطِهَادٍ فَاتِكٍ شَائِكٍ يَزَدُّ جِمَاحَهْ (الشابي، 1970، ص24)

دوماً الأوطان في حدقات العيون، فهو مسقط رأس أبنائه. فهو المأوى والسكن هذا البكاء والعبرات التي تحدث عنها ألشابي تناسب الجو النفسي الذي يوشح الأبيات، فقد ألقى المستعمر ظلاله على تونس، الظلم والظلام يكتنف ويلف البلاد العربية بأكملها، كلما استيقظ فرد الشعب وحاول أن يتحرر، أخمد المستعمر هذه الجذوة وروح النضال وحرارة النضال والحماس وألبسوا روحه قميص اضطهاد وذل، عنوان القصيدة مستمد من أبياتها، فتونس عند شاعرنا جميلة فهو أبنها البار الحافظ لمجدها لم يتغرب خارجها وإنما تنقل مرافقاً والده في مناطق مختلف بحكم عمله بالقضاء كما ذكر لنا (عبد العزيز االنعمان ، دو ت ،ص20) وله ذكريات وطفولة جميلة حية، راسخة رائعة في نفس ألشابي، أحب ألشابي بلاده فوصفها بالجميلة بالرغم مما عاناه في تلك الحقبة من استعمار وذل، وتقصير شعبه في مقاومة الاحتلال وتجاهل صرخاته ليهبوا ضد المستعمر، نجد وحدة الموضوع والفكرة والوحدة العضوية، وصدق التجربة والمشاعر والعواطف، كما نجد السبك والخيال الخصب وسهولة الألفاظ واللغة والمعاني لها دلالات وترابط أجزاء الأبيات ونمو القصيدة من بدايتها إلى نهايتها، الجو النفسي يسيطر على جميع أبيات القصيدة يتولد اليأس وتفوح التعاسة والشقاء والاضطهاد من بين السطور نجد شيوع نغمة الأسى والحزن، تطغى ذاتية ألشابي وتظهر شخصيته، وعمق معاناته.

حب الأوطان غريزة عند كل الشعوب، وكُل يرى وطنه أجمل بقاع الله في الأرض تحدث التجاني عن وطنه متناولاً مدينة الخرطوم واصفاً لها بالجمال والروعة.

يقول: في قصيدته (الخرطوم)

مَدِيْنَةُ كَالْزَهْرَةِ الْمُوْنَقَه تَنْفَحُ بِالْطِيبِ عَلَى قُطْرِهَا
ضِفَافُهَا الْسِحْرِيَةُ الْمُورِقَةَ يَخْفَقُ قَلْبُ الْنِيلِ فِي صَدْرِهَا
تَحْسَبُهَا أُغْنِيَةً مُطْرَقَةَ نَغَمُهَا الْحُسْنَ عَلَى نَهْرِهَا
أَحْنَى عَلَيْهَا الْغُصْنُ الْفَارَةَ وَظْلَلهَا الْعَنْقُودُ مِنْ حَادِرْ(يوسف بشير،1949، ص21)

يصف التجاني مدينة الخرطوم بمدينة السحر والحسن والجمال ، وكأنها زهرة يفوح منها طيباً وشذىً على البلاد، نلمس صدق التجربة ، فعنوان القصيدة مستمد من الأبيات نجد ترابط أجزاء الأبيات وتماسك أعضائها، الجو النفسي يسيطر على أبيات القصيدة تظهر ذاتية التجاني من بين السطور، اللغة سهله والألفاظ واضحة ، القصيدة بناء متماسك يؤدي كل جزء فيه إلى الذي يليه والأجزاء جميعاً تؤدي إلى غاية واحدة .

كل من الشاعرين من المدرسة الرومانسية ، ومن بيئة دينية متصوفة ، وكل منهما درس بالخلوة ، كل من الشاعرين عاصر الاستعمار، أن أعمارهما وحالتهما الصحية متقاربة لدينا صورتان عن انفعال واحد ، هو الوطن ووصف كل منهما لوطنه ، نجد صدق التجربة ، ولكن عند ألشابي أعمق حيث وصف الاستعمار وذل شعبه والمعاناة ورفضه لذلك، كل من الشاعرين طبق الوحدة العضوية.

طغيان الجانب الذاتي عند كل من الشاعرين و(السبك والسلاسة وسهولة اللغة والألفاظ ووضوح المعاني) .

تناول التجاني الطبيعة الخلابة في قصيدته التي يصف فيها النيل يقول : (في محراب النيل)

أَنْتَ يَا نِيْلُ يَا سَلِيْلَ الفَرَادِيسُ نَبِيْلُ مُوَفَقُ فِي مَسَابِكْ
مِلْءُ أَوْفَاضِكَ الْجَلَالِ فَمَرْحَى بِالْجَلَالِ الْمَفِيضِ مِنْ أَنْسَابِكْ
حَضَنَتْكَ الأَمْلَاكُ فِي جَنَّةَ الْخُلْدِ وَرَقَّتْ عَلَى وَضِئْيَ عَبْابِكْ
وَأَمَدَّتْ عَلِيْكَ أَجْنِحَةً خُضْرَاً وَأَضْفَتْ ثِيَابَهَا فِي رِحَابَكْ
فَتَحَدَّرَتْ فِي الْزَمَانِ وَأَفْرَقَتْ عَلَى الْشَرْقِ جَنْةَ مِنْ رِضَابِكْ(يوسف بشير، 1949، ص19)

تناول التجاني من طبيعة بلاده أجمل ما يكون في الكون والذي به يحي كل شئ يخاطب الشاعر النيل سليل الفراديس وجنة الله في الأرض ، يصف النيل بشعر رصين نجد جزالة الأسلوب ووضوح المعاني والألفاظ الجو النفسي يطغى على جميع أبيات القصيدة تظهر ذاتية التجاني وشخصيته ، فهو من بيئة بها الخضرة والماء، نجد ترابط أجزاء الأبيات،ووحدة الموضوع وتسلسل الأفكار وترتيب الصور، وتماسك بناءها والتي تؤدي إلى غاية واحدة ، فالرؤية تتألف من مجموعة خواطر ومشاعر وأحاسيس وخواطر، نجد صدق التجربة ، والامتزاج بالطبيعة وكذلك نجد الوحدة العضوية والخيال الخصب . وقد تناول ألشابي الطبيعة في شعره في قصيدة (الغاب) يقول: واصفاً ما فيها

بِيْتُ بَنَتْهُ لِيَ الْحَيَاةُ مِنْ الْشَذَى وَالْظَلَّ وَالأَضَوَاءِ والأَنْغَامْ
بَيْتُ مِنْ الْسِحْرِ الْجَمِيلِ مُشَيَّدُ لِلْحُبَّ وَالأَحْلَامِ وَالإِلْهَامْ
فِي الْغَابِ سِحْرُ رَائِعُ مُتَجَدَّدُ بَاقٍ عَلَى الأَيَّامِ وَالأَعْوَامْ

وَشَذًى كَأَجْنِحَةِ الْمَلَائِكِ غَامِضُ سَاهٍ يُرَفْرِفُ فِي سِكُونٍ سَامْ
وَجَدَاوِلُ تَشْدُوْ بِمَعْسُوْلِ الْغِنَا وَتَسِيْرُ حَالِمَةُ بِغَيْرِ نَظَامْ (الشابي،1970، ص266)

من مظاهر الطبيعة الخلابة كذلك الغاب ، وكثيراً ما يهرب الشعراء الرومانسيون من واقعهم المرير إليها، وجد ألشابي هذا الجمال الساحر والأضواء والأنغام ، والآمان والسكينة ، فوصفها بشعر رائع وعواطف جياشة وسحر جميل ، الجو النفسي يسيطر على جميع أبيات القصيدة ، نلمس صدق التجربة والوحدة العضوية وترابط أجزاء الأبيات والخيال الخصب والسبك اللغة سهلة واضحة والألفاظ جزلة متداولة بين الناس ، نجد وحدة الموضوع وتسلسل الأفكار وترتيب الصور، تظهر ذاتية ألشابي وشخصيته العنوان مستمد من داخل أبيات القصيدة .

كل من الشاعرين تناول الطبيعة، فكل منهما شاعر رومانسي ، نجد الوصف عندألشابي واضح فقد امتزج بالطبيعة امتزاجاً، لما لها من سحر وجمال يبعث السكينة في النفس وينقل القارئ إلى عالم ساحر رائعاً وأجمل وعواطف جياشة وأحاسيس مرهفة .

ولكن الطبيعة عند التجاني كانت أبلغ وأعمق تأثيراً وأكثر جذباً للقارئ من ألشابي ، فقد وصف النيل بجنة تحدرت في الزمان وأفرغت على الشرق هذه الجنة (نهر النيل) من رضاب بلاده ، ما أروع واجل وأعمق ، هذا الخيال الخصب الذي لا يتأتى إلا من نفس صافية رقيقة نقية شفافة حساسة ، وصف النيل وأثره في نفوس البشرية متأملاً في روعته وإبداع الخالق واصطفاء بلاده وهبة الله له بهذا النهر العظيم سليل الفراديس والذي حضنته الأملاك في جنة الخلد ،بينما نجد ألشابي يصف الغاب هروباً من واقع مرير ومعاناة مع المرض والحالة السياسية التي خيمت على البلاد من ذل وقهر بسبب الاحتلال ، والآم لفقد عزيز.

كل من الشاعرين من المدرسة الرومانسية ، نجد صدق التجربة لديهما، وكل منهما من بيت صوفي وأسرة متدينة، مع اختلاف البلاد وتقاليدها وأعرافها وكل من الشاعرين حافظاً لكتاب الله ودارساً ومتلقياً لعلوم القرآن بالخلوة، ونجد متقارباً في العمر بينهما .الغرض من قصيدة كل منهما مشاركة الطبيعة لمشاعره وعواطف وأحاسيس كل منهما لدينا صورتان عن انفعال واحد وهو الطبيعة وما حوت من مناظر حية مؤثرة في النفس مسرح الانفعال هو النفس عند كل منهما ، وكل من الشاعرين قد طبق الوحدة العضوية في شعره .

لازال ألشابي مواصلاً في وصف الجمال ولكنه يتحسر على فقده وإطفاء توهجه

يقول في قصيدته(حديث المقبرة) :

أَتُفْنَى ابْتِسَامَاتُ تِلْكَ الْجِفُونْ وَيَخْبُو تَوَهُّجُ تَلْكَ الْخدُودْ
وَتَذْوِي وُرَيْدَاتُ تِلْكَ الْشِفَاهِ وَتَهْوِي إِلَى الْتِرْبِ تَلْكَ الْنِهُودْ
وَيَنْهَدُ ذَاكَ الْقَوَامُ الْرَشِيقْ وَيَنْحَلُ صَدْرُ بَدِيعُ وَجِيدْ
وَتَرْبَدُ تِلْكَ الْوجُوهُ الْصَّبَاحُ وَفِتْنَةُ ذَاكَ الْجَمَالُ الْفَرِيدْ
وَيَعْبُرُ فَرْعُ كَجُنْحِ الْظَلَامِ أَنِيقُ الْغَدَائِرِ جَعْدُ مَرِيدْ
وَيُصْبِحُ فِي ظُلْمَاتِ الْقُبُورِ هَبَاءً حَقِيْرَاً وَتِرْبَاً زَهِيدْ (الشابي، 1970، ص201)

يتسأل ألشابي في حسرة عن فناء جمال خلاق ، وفناء ابتسامة جميلة ، وعن خبؤ وهج خدود نضرة ، هذه الحسناء التي أبدع في وصفها فأجاد ، يستنكر انزوى تلك الوريدات وفناء تلك الحبيبة عن عالم الدنيا إلى قبر

ظلم بعد أن كان يراها متوهجة الخدود ، رشيقة القوام ينتهي بها القدر إلى تلك المقبرة ، وينزوي كل الجمال ، يطغى الجو النفسي على جميع أبيات القصيدة ، ويخيم ألأسى والحسرة على القصيدة والتي تنمو وتكاثف حتى تنتهي إلى خاتمه هي بداية القصيدة وعنوانها المحاط بسياج من التشاؤم والحسرة ، والذي استمده من بين أبيات القصيدة التي يشع وتنبثق منها ذاتية وشخصية ألشابي الذي يصرخ ألماً من فراق حبيبته وما فعل بها القبر ، تفوح رائحة التشاؤم من أبيات القصيدة والتي تترابط أجزاؤها، تكرار حرف (الواو) يؤكد سيطرة الحزن والأسف حسرة الشاعر واستنكاره للواقع المرير المؤلم لزوال هذا الجمال تحت الثرى ، والتساؤل يتفجر منه الأنين والألم والفجيعة والصدمة القاسية ، نجد وحدة الموضوع ووحدة الفكرة وترتيب الصور وتماسك أعضاء القصيدة ، اللغة واضحة سلسة ، كما نجد السبك والخيال الخصب وجزالة الألفاظ وجمال الأسلوب وروعة التعبير وأناقته ، والوحدة العضوية ورنين المعاني وظلالها ودلالتها والجرس الموسيقي ولطف الخروج من بيت إلى بيت يعطي نغماً جميلاً رائعاً وكذلك نجد التحسر والآهات عند التجاني والحزن العميق على زوال جمال محبوبته

يقول في قصيدته بعنوان(على قبر حبيب) واصفاً رقة الحبيب وفتنته وقد غابت وانزوت :

يَا رِقَّةٍ فِي الثَّرَى تَذُوبُ وَنَضْرَةً لِلرَدَى تُنَشَّرْ
وَفِتْنَةٍ هَاهُنَا تَغِيبُ وَعَالَماً مِنْ الْهَوَى تَكَسَّرْ
أَآنْتَ عُوْفِيْتَ يَاحِيُونِ وَذَاكَ قَبْرُ الْحَبِيبِ يُكَسَّرْ
هَنَا جَمَالُ الْحَيَاةِ يُطْوَى هُنَا عُيُونُ الْهَوَى تَنَامْ
يَا لَوْعَةً تَمْلَأَ الْصَحَارِي وَطَلْسَماً يَزْحَمُ الْقُبُورَا
كَيْفَ اتْخَذْتَ الْعَرَاءَ دَارَاً وَلَمْ تَكُنْ تَامَنْ الْقِصُورَا (يوسف بشير ،1949، ص40)

العنوان مستمد من أبيات القصيدة ، كما أن الجو النفسي يسيطر على جميع أبيات القصيدة والتي نمو من الداخل حتى تصل إلى نهاية ،الأبيات مترابطة الأجزاء، متماسكة الأعضاء فتكرار حرف (الواو) يؤكد سيطرة الفكرة على روح الشاعر والحزن العميق والذي يجعله يتسأل مستنكراً ما حدث لحبيبته ، يشع الأسى على فؤاد التجاني ويتسأل هل تفنى هذه النضارة والرقة والجمال وعيون كانت تحوي الهوى كيف تنام تحت الثرى وتفنى، نجد ترتيب الصور وترابط أجزاء الأبيات، وتسلسل الفكرة ووحدة الموضوع ، ونغم يشع انيناً وحزناً من قلب مفجوع مكلوم ، اللغة والألفاظ والمعاني واضحة سهلة كما نلمس الوحدة العضوية، فهل وجد إجابة لتساؤلاته ؟ هل علم ما وراء الغيب وما يحدث في القبر كل من الشاعرين من المدرسة الرومانسية التي تمجد الألم والحزن والأنين والهروب من الواقع ، وتقدس المرأة والحب والجمال . نلمس التأسف والاستنكار لما يحدث للمحبوبة عند الموت وما يحدث للجسد في القبر عند كل من الشاعرين على الرغم من أن كل منهما صوفي ونشأ في بيئة دينياً،وحافظاً لكتاب الله .

لدينا صورتان لانفعال واحد هو فقد الحبيبة وزوال الجمال في والقبر عند الشاعرين مسرح الانفعال هو النفس المفعمة بالأسى والحزن والألم .

نجد حزن وانفعال ألشابي أعمق وأكثر تأثيرا من التجاني حيث نجده يتسأل بأسي عن زوال هذا الجمال مستنكراً أن يفعل بحبيبته الحسناء الرقيقة هكذا، بينما يشير ويوضح لنا التجاني مكان حبيبته ومكان زوال هذا الجمال مستخدماً كلمة (هنا).

الغرض من القصيدة عند كل من الشاعرين إظهار التحسر والأنين والحزن لما حدث من فراق حبيبة كل منهما وزوال جمالهما في القبر .

نلمس صدق التجربة عند كل منهما ولكن عند ألشابي أعمق وأبلغ وخيال أخصب وأروع وتطبيق الوحدة العضوية، وطغيان الجانب الذاتي وظهور شخصيتهما .

يواصل التجاني زفرات قلبه الحارة ، وانين روحه الثائرة كالبركان المتوهج ، هذا القلب المحترق المقتول كمداً وحسرة يصفه لنا في قصيدته بعنوان (قلب) يقول :

يَا قَلْبُ لاَ كَالْقُلُوبِ يَدْفَقُ مِنْكَ الألم
تَرْمِي وَرَاءَ الْغِيُوبِ عَيْنَاً تَحْسُ الْعَدَمْ
يَنْهَلُ مِنْكِ الْغُرُوبُ وَتَسْتَفِيضُ الْظُلَمْ (يوسف بشير،1949، ص25)

تحدث التي عن قلبه الذي لا شبه له بين قلوب البشر، قلب معذب بالظنون يتطلع من وراء الغيب فلا يجد غير العدم والفناء، استخدم كلمة (يدفق) دلالة على فيضان وكثرت الآلام التي تغطي قلبه المجروح المذاب بالأنين والأحزان والأكدار، يسيطر الجو النفسي على أبيات القصيدة ويعمها الظلام والكآبة والتشاؤم نجد ترابط أجزاء القصيدة ووحدة الموضوع والخيال الخصب وطغيان الذات وظهور شخصية الشاعر ، ونمو القصيدة حتى تصل الخاتمة مع لطف الخروج من بيت إلى بيت أخر،عنوان القصيدة مستمد من أبياتها نجد وضوح وسهولة اللغة والألفاظ ، والمعاني لها دلالتها وظلالها كذلك نجد الجزالة والحبك والسبك ، ورنين ونغم وموسيقى وأجراس الألفاظ ، وتطبيق الوحدة العضوية . نجد ألشابي عانى كذلك من قلبه الصغير العليل فوصف ذلك في قصيدته بعنوان (إلى قلبي التائه) يقول :

مَا لآفَاقِكَ يَا قَلْبِي سُوْدَاً حَالِكَاتْ
وَلِأَوْرَادِكَ بَيْنَ الْشَوْكِ صُفْرَاً ذَاوِيَاتْ
وَلِأَطْيَارِكَ لا تَلْغُوْ فَأَيْنَ الْنَغَمَاتْ
أَنْتَ يَا قَلْبِي قَلْبُ أَنْضَجَتْهُ الْزَفَرَاتْ
أَنْتَ قَبْرُ فِيْهِ مِنْ أَيْامِي الأَوْلَى رُفَاتْ (الشابي، 1970، ص134)

نلمس ترتيب الصور والخيال الخصب وصدق التجربة، والمعاني والألفاظ والغة وضوحها وسهولتها ، وكأنها نسيج من خيط لغوي، عنوان القصيدة مستمد من أبياتها والتي تعطي معنى واحد وهو عذاب قلبه وما به من سواد حالك أنضجته الزفرات الحرى ، وصرخات روحه المعذبة والتي صارت كالقبر وقد دفن فيه أيامه ، تظهر ذاتية الشاعر وشخصيته من خلال الآهات والزفرات والأنين والصرخات حتى صار كالقبر فقد عانى منذ الصغر من مرض القلب الذي لازمه حتى الممات ، نجد المفردات واضحة من الطبيعة (أورادك ، أطيارك)، ألشابي له قدرة توليد وابتكار الألفاظ ، القصيدة يصبغها الألم والحزن يجعل كل قارئ له يتغمسه الحزن والكآبة الجو النفسي مسيطر على أبيات القصيدة نجد تماسك أعضاء أبيات القصيدة، نجد

الوحدة العضوية .كل من الشاعرين تحدث عن الآلام وزفرات قلب محترق نلمس صدق التجربة التي نجدها أقوى وأعمق عند ألشابي فقد عانى المرض منذ الطفولة.

عانى التجاني مرض القلب والذي يقصد به الشك والظنون وعدم اليقين وكثرة التأمل وهي الآلام المتقلبة كل من الشاعرين من المدرسة الرومانسية ، كل من الشاعرين من بيت صوفي ، يظهر ذلك في شعرهما .

ترى الباحثة أن كل منهما طبق الوحدة العضوية ،وكان للتربية الصوفية والدينية أثر بالغ في تقارب شعرهما وكذلك الموضوعات عند كل منهما واستخدام اللغة والألفاظ متقاربة مهما يكن من أمر فكل من الشاعرين من الشعراء الذين كان لشعرهما أثر في نفس القارئ فدوماً تميل النفس البشرية إلى من يعبر عن آلامها وانفعالاتها ويبين جراحها، فقد عبر ألشابي عن ألآم البشرية قبل آلامه، ألشابي شاعر مجيد، أدركه السقم قبل الهرم، ولو مد الله في أجله لكان له شأن خطير، وما تركه جعله يأخذ مكانة بين نوابغ الشعراء.

النتائج

1/ نجد تطور في الأوزان وبناء القصيدة، وتطبيق كل من الشاعرين للوحدة العضوية

2/ تأثر كل من الشاعران بالمدارس الحديثة،(الرومانسية)، والاطلاع على كل ما هو جديد وتطبق ذلك في شعرهما ونظم موضوعات مختلفة ومتنوعة.

3/ نجد عند كل من الشاعرين التحرر والتمرد والثوره على كل ما هوقديم، والهروب إلى الطبيعة والامتزاج بها، والوحدة الموضوعية وترتيب الصور والافكار ، كذلك عذوبة المعاني وسهولة اللغة .

4/ كل من الشاعران يبحث عن مثل أعلى في عالم الخيال الخصب والروح والأحلام، كما نجد التشاؤم وروح الحزن والألم .

5/ يتفق كل من الشاعران في الرجوع الى الله بعد ضعف إيمانهما والشك والهروب الى الطبيعة ، وظهور الأثر الصوفي والروحانيات في شعرهما ،ولطف الخروج من القصيدة عند كل من الشاعرين .

6/ اختلف كل من الشاعران في خصوبة الخيال ، كل منهما لديه خيال واسع ولكن عند الشابي أوسع وأعمق وأجمل .

7/ نجد اختلاف في أعراف وتقاليد موطن كل من الشاعرين .

8/ تناول الشابي حقبة مهمة جداً في شعره ، وهي فترة الذل والقهر والإستعمار موضحاً بكل مشاعره ماعاناه وعاشه وعاصره مع شعبه في تلك الفترة ، بينما نجد تلك الحقبة مفقوده في شعر التجاني .

9/ نلمس صدق التجربه عند كل من الشاعران ، ولكن عند الشابي اوضح وأروع وأعمق ، نلمس ذلك في تناوله الطبيعة والطفولة في شعره ، وربما يعود ذلك لطبيعة بلاده الغناء ، وكثرة تنقله وإغترابه داخل بلاده الخضراء .

التوصيات :

اوصي بمزيد من الدراسات والبحث والتقصي حول هذا الموضوع (موازنه في الوحدة العضوية بين الشابيَّ والتجاني) هذان الشاعران اللذان اضافان للشعر العربي رونقاً، وكانا من أصحاب التجديد حيث ساهم كل منهما في بناء القصيدة بتطبيق الوحدة العضوية.

المراجع

1/ كرو، ابو القاسم محمد، 1952، الشابي حياته – شعره، منشورات المكتبة العلمية ومطبعتها، بيروت، ط2.

2/ السومحي ،احمد عبد الله ، مقال أورده، 2005، مجلة عجمان للعلوم والتكنولوجيا، دورية ثقافيه علمية، تصد رعن شبكة جامعة عجمان للعلو،والتكنولوجيا المجلدالعاشر، العدد الثاني.

3/ السالم، هداية سلطان، 2005، مجلة البيان، ثقافية شهرية تصدر عن رابطة الأدباء في الكويت، العدد485.

4/ هاشم، بدر الدين، التجاني يوسف بشير، دو ت، دراسة نقدية في تجربته الشعرية، المطبوعات العربية للتأليف والترجمة والنشر، ط1.

5/ بابكر ، نادر ، ،المجلد الأول ، مجلة كلية الآداب جامعة النيلين، التصوف الإشراقي في شعر التجاني يوسف بشير، ع4.

6/ عبد الرحيم ، عمر ، ، دو ت ،، نفثات يراع، مكتبة السودان، جامعة الخرطوم، دو ط .

7/ بابكر، نادر، المجلد الأول، مجلة كلية الآداب جامعة النيلين، التصوف الإشراقي في شعر التجاني يوسف بشير، ع4.

8/ بشير، التجاني يوسف، 1949، ديوان اشراقة، المطبعة الوطنية بالخرطوم، ط2.

9/ هدارة، محمد مصطفي، دو ت، دراسات في الشعر العربي، تحليل لظواهر أدبية وشعراء منشأة المعارف، الإسكندرية، دون ط.

10/بشير، التجاني يوسف، ديوان إشراقه، 1949، طبع بالمطبعة الوطنية بالخرطوم، ط2.

11/ النعمان، عبد العزير، دو ت، أبو القاسم ألشابي، رحلة طائر في دنيا الشعر، الدار المصرية اللبنانية، ط1.